مجلة مركز بابل للدراسات الإنسانية ٢٠٢٦ المجلد ١٦/ العدد ٣

الالتفـــات الاسلوبي عنـد بلنـــد الحيــدري

م.م عقيل غضبان نوري
جامعة الكوفة كلية العلوم
Aqeelg.alameri@uokufa.edu.iq

م.م محمد جاسم محمد
جامعة الكوفة / كلية العلوم
mohammedj.alkhzai@uokufa.edu.iq

الكلمات المفتاحية: الالتفات، الدلالة، بلند الحيدري.

كيفية اقتباس البحث

نوري , عقيل غضبان , محمد , محمد جاسم , الالتفـات الاسلوبي عند بلنـد الحيـدري,مجلة مركز بابل للدراسات الانسانية، آذار ٢٠٢٦, المجلد:١٦, العدد:٣.

هذا البحث من نوع الوصول المفتوح مرخص بموجب رخصة المشاع الإبداعي لحقوق التأليف والنشر (Creative Commons Attribution) تتيح فقط للآخرين تحميل البحث ومشاركته مع الآخرين بشرط نَسب العمل الأصلي للمؤلف، ودون القيام بأي تعديل أو استخدامه لأغراض تجارية.

مفهرسة في Indexed
IASJ

مسجلة في Registered
ROAD

Stylistic Shift in the Poetry of Buland al-Haydari

Aqeel Ghadhban Nouri
University of Kufa, College of Science
Aqeelg.alameri@uokufa.edu.iq

Mohammed Jassim Mohammed
University of Kufa, College of Science
mohammedj.alkhzai@uokufa.edu.iq

Keywords : Shift in focus, connotation, Buland Al-Haydari

How To Cite This Article
Nouri ,Aqeel Ghadhban , Mohammed, Mohammed Jassim
Stylistic Shift in the Poetry of Buland al-Haydari ,Journal Of Babylon Center For Humanities Studies, March 2026,Volume:16,Issue 3.

This is an open access article under the CC BY-NC-ND license (http://creativecommons.org/licenses/by-nc-nd/4.0/

This work is licensed under a Creative Commons Attribution-NonCommercial-NoDerivatives 4.0 International License.

Abstract:

Style shift in perspective is one of the most prominent artistic techniques employed by poets of both classical and modern times. This technique enriches the text, elevating it beyond the confines of directness and rhetoric. Therefore, this study examines the aesthetics of shift in perspective in the poetry of Buland al-Haydari. The aim of this study and analysis is to understand and clarify the text through its constituent elements by delving into its world, illuminating it, revealing its linguistic secrets, interpreting its structural system and arrangement, and grasping the relationships within it, without merely explaining vocabulary or converting verses from poetry to prose.

The poetry of Al-Haydari was selected for analysis, focusing on its expressive and impactful use within the poetic contexts where the figure

of speech known as "shifting the focus" (iltifat) is employed. This article adopts a descriptive and analytical approach to reveal how the text deviates from standard language or violates familiar phrasing in everyday usage. The aim is to understand the artistic value of the contemporary poet's work, the extent of his rhetorical creativity, his ability to apply the authentic concept of rhetoric to his literary output, and the rhetorical purposes of this shift in focus. A key characteristic of this study is its engagement with the content of modern poetry, mirroring the approach taken in studies of classical Arabic poetry. Among the most prominent stimuli that emerged in the poetry through the study of different types of shift in focus are hyperbole, directness, specification, and drawing the reader's attention .

الملخص:

يعد الالتفات من أبرز التقنيات الفنية التي عني بها أصحاب الشعر القديم والحديث، وهذا النوع يمنح النص ثراءً وغنىً، ويسهم في النأي به عن حدود المباشرة والخطابة. لذلك تتناول الدراسة جماليات الالتفات للشاعر بلند الحيدري، والغاية من دراسة النص وتحليله هي محاولة لفهم النص وتبينه من خلال مكوناته عبر الدخول إلى عالم النص، وإضاءته وكشف أسراره اللغوية وتفسير نظام بنائه، وطريقة ترتيبه، وإدراك العلاقات فيه، بعيداً عن شرح المفردات وتحويل البيت من الشعر إلى النثر.

وقد تم اختيار شعر الحيدري، من أجل تحليله والوقوف عليه تعبيرياً وتأثيرياً في السياقات الشعرية التي تمثلت فيها صورة الالتفات . وقد اعتمدت هذه المقالة على المنهج الوصفي والتحليلي، حتى يتبين كيفية خروج النص عن اللغة المعيارية، أو انتهاكه للصياغة المألوفة في الاستعمال العادي لمعرفة القيمة الفنية لشعر الشاعر المعاصر ومدى إبداعه البلاغي واستطاعة هذا الشاعر تطبيق مفهوم البلاغة الأصيل على نتاجه الأدبي، وأغراض الالتفات البلاغية في شعره. وأبرز سمة تميّزت بها هذه الدراسة هو أنّها حصلت على مضمون الشعر الحديث' كما نجدها في دراسة الشعر العربي القديم. ومن أهم البواعث التي برزت في الشعر من خلال دراسة أنواع الالتفات و يمكن الإشارة إلى المبالغة، والتصريح، والتخصيص، والتنبيه للمتلقي.

١- المقدمة

١-١- بيان المسألة:

لقد حظى شعر بلند الحيدري من النقاد والدارسين قديما وحديثا بالاهتمام الكبير، بدراسة مضامينه الموضوعية وألوانه التشكيلية الفنية، وقد استحق شعر الحيدري هذا الاهتمام لجودته

وكثافته الدلالية، بنية ومضمونا، فقد أحاط فنه من العناية مراجعة وتحكيكا وتنقيحا وتهذيبا للنسيج اللغوي(ريحان إسماعيل:٢٠٠٩م، المقدمة)، ويهدف هذا البحث باستنطاق نصوص الحيدري وإظهار مكامنها الجمالية، بحثا في مظاهرها الاستبدالية والإيقاعية، لمحاولة استنتاج الدلالات والإيحاءات الفنية، وفق البنية الشمولية للنص الشعري، وتأويلها على مستوى القصيدة الواحدة التي تشكل خطابا متفردا. ويعد البحث محاولة جديدة في استنطاق النتاج الأدبي لشعر بلند الحيدري من الجوانب جميعها _وفق المنهج الوصفي التحليلي_ ، إذ يمثل شعره ميدانا خصبا للدراسات الأسلوبية والتحليلية، وقد تنوعت تجارب الشاعر الإنسانية، فأفاد هذا في إغناء هذه الدراسة.

وقد تعدَّدت مصطلحات الأسلوبية، ومفاهيمها، وآليات اشتغالها، ويعتبر الانزياحُ مِن أشهر هذه المفاهيم التي ظهَرت مع الشِّعرية الحديثة، خاصة في الشعر؛ وذلك لأن اللغة الشعرية تختلف عن غيرِها اختلافًا كبيرًا، فاللغة العلمية مثلًا تميل للأسلوب التقريريّ المباشر الذي تكاد تنعدِم فيه نسبةُ التأويل، مما يضع المتلقيَ أمام دلالة واحدةٍ على العموم، رغم اختلاف المتلقِّين ومستوياتهم ومشاربهم الثقافية)هشام ٢٠٠٦م، ٣).

"إن الحديث عن خصوصية اللغة الشعرية ألفاظاً وتراكيب وصيغاً وأساليب قد يستدعي حديثاً آخر عن اللغة والشعر والأسلوبية والانزياح وشعرية اللغة، إضافة إلى بعض الظواهر التي تسهم في منح التركيب الشعري خصوصيته الجمالية، مثل الحذف والاعتراض والتقديم والتأخير والمحسنات المعنوية واللفظية والتكرار والازدواج والتنسيق وغير ذلك من الظواهر التي يتميز بها الخطاب الإبداعي"(هشام : ٢٠٠٦م، ٤)

إن الانزياح خاصية هامة من خصائص اللغة الشعرية في كل الآداب العالمية، لقد آن الأوان لإلغاء النظرة التي تقوم على اعتبار الظواهر البلاغية زينة ووشياً والتعامل معها على أنها عناصر هامة في بناء النص الأدبي.

١-٢- أسئلة البحث:

واثير عدة أسئلة في البحث ما هي جمالية أنماط الانزياح والغرض الرئيسي من العدول؟ ما هو المعيار الذي أستخدمه الشاعر للخروج عن المتداول والمألوف؟

١-٣- فرضية البحث:

وتكون الاجابة على الأسئلة التي وردت في البحث كالاتي على ما يبدو إنّ الانزياح التركيبي(النحوي) بما فيه من التناوب، والحذف، والالتفاف والتقديم؛ يعد أكثر انتشاراً في شعر

بلند الحيدري. يختلف الغرض الجمالي للانزياح باختلاف السياق الذي ورد فيه؛ لكن غرضه الأساس هو حث المتلقي على المتابعة والتفكير وتشكيل لوحة فنية قائمة على التصوير.

١-٤- هدف البحث:

ويهدف البحث عن مدى تكرار هذه الأساليب المنزاحة في شعر بلند الحيدري و مدى نجاحه في استخدامها تلبية لأهدافه من استخدامها في أشعاره. الكشف عن الدلالات المعنوية و الجماليات الأدبية لاستخدام الانزياح في شعر بلند الحيدري.

١-٥- سابقية البحث:

والدراسات السابقة التي سبقت هذا البحث هي

- حفيز ناديه(٢٠٠٨م): الانزياح في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، جامعة وهران، كلية الاداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وادابها، تخصص: الادب العربي، حيث توصل الباحث إلى أن وجود مظاهر الانزياح بشكل لافت للنظر في أشعار المعاصرين، كالتكرار وجمال الصورة وإخراج المعنى المبتذل إلى آفاق الخيال والإبداع الفني.

- جميات، منى(٢٠١٤م): مقال عن اثر الانزياح في تشكيل قصيدة التفعيلية عند احمد مطر(مقاربة اسلوبية في قصيدة انا ارهابي)، المنشور في مجلة اشكالات في اللغة والادب، العدد السادس، حيث كانت نتيجة المقال كما يرى الباحث فقد أستطاع الشاعر بموهبته الشعرية أن يخرج على ما هو مألوف في اللغة على مستوياتها كلها ليشكل الانزياح أسلوبا واضحا في شعره، كذلك ينزع الشاعر إلى تشكيل اللغة حسبما تقتضيه حاجته لتقديم رؤاه وأحاسيسه بالطريقة التي يراها أكثر تأثيرا من غيرها، ولو أدى ذلك إلى الإخلال بنظام الجملة، مما ولد لدى المتلقي إحساسا بالدهشة والمفاجأة، نتيجة تصرف الشاعر في أداته اللغوية بوعي تنامت معه الرغبة في البوح والكشف عن ما يختلج في صدره.

- (٢٠١٥م)شعبان : حبيبة و عتو فاطمة، اسلوب الانزياح في ديوان "رصاص وزنابق"، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة و الادب العربي، تخصص: مناهج النقد المعاصر، الجزائر، إذ توصل الباحث إلى أن توافر السمات الانزياحية الاستبدالية والإيقاعية يساعد على كشف جوانب شاعرية الشاعر، ويدل على احتفائه بالانزياح في التعبير عن هذه الشعرية، ويحقق في نصه انزياحا عن اللغة التبادلية إلى اللغة الشعرية.

- (٢٠٠٩م)الددة: عباس رشيد، الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق. تعاملت هذه الدراسة مع الخطاب بوصفه مجموعة خصائص عامة مجردة ممكنة، أي الخطاب غير منظور اليه بمعناه الأصولي العربي ولا بمنحاه الفلسفي الغربي، وإنما بالمنظور اللساني الذي يعده ملفوظا مركبا من بنيات او وحدات لغوية منسجمة تؤطرها أنظمة داخلية تسمح بتشكلها على نحو يحمل رسالة دلالية تتنوع _على وفقها_ ضروب هذا الخطاب، تتعدد مظاهره التي اصطفت منها الدراسة الخطابين النقدي والبلاغي.
- (١٩٩٨م)عمر: محمود عبدالمجيد، الانزياح في شعر نزار قباني، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين– العراق، حيث وجد الباحث مادة خصبة تتوفر فيها البنى الثلاث، الدلالية والتركيبية والصوتية، على وجه منزاح عن المألوف. والإيقاع المتحرك في شعر قباني فقد تعامل معه على نحو آخر إذ ليس لهذا الإيقاع ما يضبط حركته، فكان من الشاعر أن صنع له نسقاً خاصاً في النص يعتاد عليه المتلقي ثم ينزاح عنه ليكسر وتيرته ورتابته.

لم أجد دراسة لشعر بلند الحيدري أخذت على عاتقها ربط الجانب اللغوي والتشكيلي للنص الأدبي بالجانب الفني الجمالي وتأويلاته المتعددة، وهذا أهم ما يميز دراستنا في هذا المجال.

٢- الانزياح

يعد الانزياح من أهم الظواهر في الدراسات الأسلوبية التي تتناول النص الأدبي على انه معاكس للمألوف والسائد وهي برزت من بطن الدراسات الأسلوبية التي تكون مهمتها الأساسية في الاعتماد على العناصر الرئيسية والداخلية للعمل الفني. فقد اكتشف الدارسون المسلمون القدماء ميزة بارزة من ميزات الأسلوب العربي وهي ميزة المراوحة بين الأساليب والتحول المفاجئ من أسلوب إلى آخر، وقد أطلقوا على هذه الظاهرة أسماء عدة منها: المجاز، والنقل، والانتقال، والتحريف، والانحراف، والرجوع، والالتفات، والعدول، والصرف والانصراف، ومخالفة مقتضى الظاهر، وشجاعة العربية والحمل على المعنى والترك ونقيض العادة وغيرها كثير(هنداوي،٢٠٠٢م: ١٤١) وهذه الاسماء والمصطلحات جميعها دوال لمدلول واحد. وعند النظر نلاحظ جزء منها يفتقر إلى اللياقة مثل: (الاختلال، الانتهاك، الإطاحة، المخالفة، الشناعة، العصيان) اضافة إلى استغناء الكثير من الدارسين عن استعمالها، وما تبقى منها ثلاثة حسب رأي أحمد ويس، وهذا ما نذهب إليه وهي: (الانزياح – الانحراف – العدول)، والدراسة ستختص بالانزياح؛ كون الانحراف والعدول ربما يحملان معان بلاغية أخرى بلاغية(ويس،٢٠٠٥م:٧).

٢- ١- الانزياح لغة واصطلاحا وأسلوبا:

إنّ الانزياح، من مادة (زيح) من باب الانفعال وبشكل أدق ذهب وتباعد. زاح الشيء يزيح زَيحاً وزُيوحاً زِيوحا وزَيَحاناً وأزحتُهُ وأزاحه غيره.(ابن منظور،١٩٧٩م: مادة زيح) ويجب الإشارة إلى أن هذا المصطلح إنما هو ترجمة للمصطلح الفرنسي(Ecart) الذي يعني: خروج الكلام عن السائد أو المتعارف عليه قياساً في الاستخدام، رؤية ولغة وصياغة وتركيباً(أليافي،١٩٩٥م:٩٢). أما نور الدين السد فقد عرفه: "الانزياح هو انحراف الكلام عن نسقه المألوف، وهو حدث لغوي، يظهر في تشكيل الكلام وصياغته، ويمكن بواسطته التعرف إلى طبيعة الأسلوب الأدبي، بل يمكن اعتبار الانزياح هو الأسلوب الأدبي ذاته" (نورالدين،١٩٩٧م:١٧٩).

أما الهدف من الانزياح في العمل الأدبي يكون بجلب انتباه المخاطب نحو الموضوع ليترسخ ويبقى في ذهنه لهذا لا يتحقق إلا باجتهاد وتعميق فكري في استيعابه وفهمه ليحتاج إلى كد العقل واجتهاده في فهم وإدراك الموضوع. إذ كلما زاد كدنا الذهني لفهم الموضوع الغريب، بالتأكيد ستزداد اللذة التي تنتج عن إدراكه وفهمه. مثلما جاء في مقال شكلوفسكي: "من تقنية الفن هو تغريب الموضوعات وتعقيد الصور. يخلق التعقيد ليزيد اللذة؛ لأن عملية الفهم الحسي، لها نهاية جمالية وإذا كان الأكثر طولاً فهو أجمل" (شيري،١٣٨ش: ٩).

الانزياح في التعريف الأسلوبي هو إمكانية المبدع على كسر المعتاد واختراق المتناول المألوف، بغض النظر إذا كان هذا الاختراق صوتياً أم صرفياً أم نحوياً أم معجمياً أم دلالياً؛ ومن بعد ذلك يحقق النص انزياحاً بالنسبة إلى معيار ومقياس متواضعٍ عليه، لهذا تبقى اللغة الإبداعية هي التي تجوّز بهذه الخلخات اللغوية داخل النصوص بحملها من النفعية البلاغية نحو الفنية الجمالية؛ وكل هذا وفقاً لمقاصد وأفكار خاصة، إذ "إنه من غير المجدي حصر الكلام في تكرار جمل جاهزة، كل واحد يستعمل اللغة لأجل التعبير عن فكرة خاصة في لحظة معينة، يستلزم ذلك حرية الكلام واستقلالية الخوض فيه وبه بارتياح، في رحاب لغة فنية أدبية تجعل الجمالية والتأثير غايتها"(كوهن،١٩٨٦م:١٠١).

٢-٢- الانزياح التركيبي:

يُعد الانزياح التركيبي من السمات الأسلوبية البارزة التي تصب في باب الشعرية(الرواشدة "سامح"، فضاءات الشعرية،ص٥٣)، إذ تقوم هذه الظاهرة على "خرق القوانين المعيارية للنحو بغية تحقيق سمات شعرية جديدة"(الرواشدة "أميمة"،ص١٨٣.

إنَّ هذه الظاهرة لم تكن وليدة مخاض النقد الحديث، بل تصدى لها النقد العربي القديم، فقد حدّد ابن (جنّي) في كتابه (الخصائص) بعضاً من أشكال الانزياح التركيبي من مثل الحذف والتقديم والتأخيروالالتفات(ابن جني: "ابوالفتح عثمان" ، الخصائص،ص٣٦٠) موضوع دراستنا، ولا تخفى جهود كل من عبدالقاهر الجرجاني والزمخشري وابن الأثير في هذا الشأن.

أما في النقد الحديث، فقد نظر تودوروف إلى الأسلوب اعتماداً على هذه الظاهرة من الانزياح الذي عرفه بأنه: " لحن مبرَّر ما كان يوجد لو أنَّ اللغة الأدبية كانت تطبيقاً كلياً للأشكال النحوية الأولى"(المسدي"عبدالسلام)،ص ١٠٢-١٠٣).

ويعدّ (جان كوهن) الانزياح التركيبي نوعاً من أنواع الانزياح السياقي " الذي يحدث على مستوى الكلام بمفهومه السوسيري(ناظم"حسن" ،ص١٢١).

حيث يمكن لنا القول إن الانزياح التركيبي " لا يكسر قوانين اللغة المعيارية ليبحث عن قوانين بديلة، ولكنه يخرق القانون باعتنائه بما يعد استثناء، أو نادراً فيه"(الرواشدة("سامح"، فضاءات الشعرية،ص٥٣). وستقوم الدراسة بتناول ظاهرة الالتفات فقط.

٣- الالتفات

يعرف البلاغيون هذه الظاهرة على انها: " العدول من أسلوب في الكلام إلى أسلوب آخر مخالف للأول"(عبدالمطلب:"محمد"،٢٧٦)، وتتمثل هذه الظاهرة على حد الرواشدة عبر تحويل الأفعال وأزمنتها والضمائر بين الإفراد والجماعة أو الحضور والغياب"(الرواشدة،"سامح"،ص٤٦٨).

وقد يؤدي هذا العدول في الكلام بين ما سبق إلى خيبة توقعات المتلقي، خالقا فجوة بين المرتقب والمتشكل فعلياً، لتلعب هذه الفجوة الدور الأمثل في تحقيق السمة الشعرية في النص(الرواشدة"أميمة"، ص٢٣١)

ويبدو أن ادرك ظاهرة العدول عن النسق اللغوي في التطابق هو ما حدا به أن يؤثر الحديث عن الالتفات ضمن شجاعة العربية فالشجاعة تطلب الإقدام ، وبالتالي فإن مخالفة النمط المألوف يمثل إقداما من المتكلم ، وقد كان ابن الأثير السباق إلى هذا المفهوم لدرجة أنه جعل الالتفات خلاصة علم البيان (عبدالمطلب:٢٠٠٢م،٢٧٨)

ومع ذلك فقد خالف ابن الأثير وجهة نظر الزمخشري المتمثلة في أن الكلام أسلوب إلى أسلوب كان أحسن تطرية لنشاط السامع وايقاظا للإصغاء إليه من إجرائه على أسلوب واحد (الزمخشري:١٤)

إذ رأي ابن الأثير أن الكلام لو كان متسما بالفصاحة لم يكن مملولا ، على أننا نجد من انتصر للزمخشري عندما بين أن هذا الاعتراض من قبل ابن الأثير ما هو إلا خطأ وجهل ، لأن هذا لا يعطل فصاحة الكلام ولا ينقص من بلاغته ، ولهذا فإنه لو همش فيه الالتفات فإنه باق على الفصاحة ، ولكن الغرض أن عدوله من الخطاب إلى الغيبة يزيد في البلاغة ويحسنها ، ويكون الخطاب أشد وقعا على المراد (عبدالمطلب:٢٧٩)

ومهما يكن من أمر ، فإن الدراسة ستتوقف عند بعض النماذج الحيدرية الدالة على ظاهرة الالتفات وإظهار صلتها بالدلالة الشعرية، انظر إليه إذ يقول:

"وأصلُّ أزحفُ في الصِّراعْ
يهوي شِراعْ
وتموت في جنبي ذراع
وأكاد أومئ بالوداعْ
يا للجبانْ
يا للجبانْ
وخجلت من ضعفي المُهانْ
ضعفي المُهانْ
ما زال يضحك في ارتياعْ
وهناك
في البهو المغبَّر كالزَّمانْ
كانت تعدُّ لي الثَّواني
تلك العجوز بلا جنانْ
تك... تك...
ويدور فيها العقربان
بالجبان، متى سيومئ بالوداعْ
وأظل أزحف في الصِّراعْ"(الحيدري:٢٢٩-٢٣٠)

من الملاحظ أن الحادثة في النص الشعري قد بدأت بحالة استمرارية أوحت بما قبلها، إذ أعلنت عن معاناة الشاعر وإدراكه الفاجع لعبثية الوجود، غير أن ذلك لم يحل دون مواصلة الصراع، ويرفض الانتحار كحل أبدي لحالة الخيبة والعبث اللتين يعيشهما، وما إن تبلغ هذه الحالة الاستمرارية مداها الأخير تراجعت ليظهر ما وراءها ، فتنهض الذكريات القديمة من

سباتها في تداع حدسي لتنتقل الحادثة إلى الماضي بعد أن كانت استمرارية: " وهناك، في البهو المغبر كالزمان، كانت تعد لي الثواني ، تلك العجوز بلا حنان وهو في هذه الحادثة الماضية إنما يستذكر عبثية تلك العجوز –الحياة– القاسية التي لم يرها شاعرنا إلا وهما ورياء، وكأني به صب جام غضبه على ماضية الكئيب "البهو المغبر" ولكنه يعود من جديد معلنا رغبته في مواصلة الصراع ، وتقبل الواقع مهما كان ، وذلك من خلال عودة الحادثة إلى طورها الأول – الاستمرارية– ليعلن في ختام قصيدته: " وأصل أزحف في الصراع معلنا تحديه وصبره بالرغم من كل السلبيات التي يعانيها.

وثمَّة مثال آخر على هذه الظاهرة يبدو في قوله:

" إيه يا فجر صباباتي.... انته
لملم الآن صبابات المنى
كل شيء قد طوى تاريخه
وانطوى في ظلِّ عهدٍ
موهناً
إتكأ الماضي على أحلامه
يعلن الصمت
ويشكو الزمنا
وسيمضي اليوم محموم الخُطَى
يتمطّى
فوق رجليه الضَّنى
توغل الظُّلمة في أيامه
وهو كالأمس يصلّي للسَّنا
كل ما في حاضري يصرخ بي
أيها المجنون ... لا شيء هنا
ها هو الحُب يولّي
هرباً
بعدما أودى بدنيا السأمْ
لم يعد كالأمس
إن غارت به

مدينة الحزن تغنّي بالألم
ومضى ينسج من تلك الدما
خفقة النور وأحلام الظلم
وإذا ما الدهر أبلى أملاً
كانت التوبة في جرحٍ
ودم
كيف أمسى طللاً كابي الردى
وصحارى؟
من رمالٍ... وعدم
كلّما لّذت بدنيا أمَّحت
غير سطرٍ قال: لا شيء هنا
كل آمالي تلاشت
مثلما يتلاشى النور عند الغسقِ
وتساوى الليل عندي
والضُّحى
رَبَّ ليلٍ فجره لم يفقِ
أجرعُ الحزن كؤوساً
كلّما
أفرغت أترعتُها من أرقى
صُوّبت من كل صوبٍ أسهمٌ
لست أدري
أي سهمٍ أتقي
وإذا استنجدت بالوهم
هوت

مدية الأحزان تفري مخفقي"(الحيدري:"بلند"، ص٤٩-٥٢)

بدأ الشاعر هذا النص بالتحدث بضمير الخاطب، ثم ينتقل إلى الحديث بضمير الغائب، بعد ذلك ينتقل إلى الحديث بضمير المتكلم، وقد أسهم هذا التحول والتنقل في الضمائر إلى خدمة الدلالة التي يؤدّيها النص، ومن يمعن النظر في هذا النص يجد أن الشاعر قد تحدث بضمير

المخاطب عندما أعلن رغبته الملحة في انتهاء (فجر صباباته) أي أحزانه التي ولدت بمولده، وكأنهما توأمان ما انفكا يلازمان بعضهما، وقد أَشْعَرَنَا ضمير الخطاب هذا باستمرارية هذه الأحزان، فهي موجودة وما زال أرقها يجوس في نفسه الشاعرة، لذلك أخذ يخاطبها بصيغة الأمر وكأنها تتراءى أمام ناظريه، ثم يلتفت إلى الحديث بضمير الغائب الذي جاء منسجماً مع زوال وغياب ذلك الماضي، وهو ماضي شاعرنا الذي لم يحقق فيه أحلامه، بل استحالت إلى وسائد صماء لم يشأ لها الحظ أن تعلن نفسها، مما حدا به أن يلعن الصمت، ويشكو زمنه، إنَّ هذه الكآبة السوداء لم تقتصر على ماضي الشاعر، بل انسحبت إلى حاضره، فما أشبه يومه بأمسه! فها هو الحاضر سيمضي كالإنسان المحموم بعد أن تتسلل إليه المنغصات، وكأنّ ماضي شاعرنا يعود مرى أخرى، فلا يتغيّر شيء في حاضره، وقد انسجم التكلم بضمير الغائب هنا للإفصاح عن التشابه الكبير بين ماضي الشاعر وحاضره، فكلاهما يمثّلان الفراغ والعبث، ويستمر التكلم بضمير الغائب في حديثه عن الحُبِّ الضائع –إن صحَّ التعبير – الذي ولّى فاندثر باندثار الشباب، لم يعد كالأمس إن غارت به مدية الحزن تغنى بالألم، وتظهر حسرة الشاعر الغارقة في حزنها في الاستفهام الاستنكاري التعجبي عن المصير الذي آل إليه هذا الحب، فهو كالطلل الكابي الرؤى، وكالصحارى المليئة بالرّمال التي لا فائدة منها، وقد دلّت هذه الصور على موت الحُبّ وزواله، لِما في لفظتي طلل، وصحارى من الشعور بالزوال والموت، وقد وُفِّق شاعرنا في مثل هذا الالتفات في التكلم بضمير الغائب الذي انسجم تماماً مع غياب هذا الحُبّ وزواله، وأخيراً يلتفت للحديث بضمير المتكلّم المفرد في لوحة شجيَّة كانت خلاصة ما آلت إليه حال الشاعر، فقد تلاشت آماله، مثلما تشرب الظلمةُ النورَ، حتى تساوت لديه أبعاد الزمن، فلا فرق بين صبحٍ وليل، وهذا يدل على عدم التجدد في حياته، بل أخذ السواد (الليل) الذي يمثل الانفلات وعدم التجدد وضياع الأمل والسَّأم حصَّة الأسد في حياته" رُبَّ ليلٍ فجره لم يفق" فكان من الطبيعي أن يشرب شاعرنا كؤوس الحزن التي لا تنضب، لا سيما وأن الرَّزايا قد تكالبت عليه، حتى اختلط عليه الأمر، فلم يعد درياً أياً من تلك المصائب يتقي، .

وكذلك جاء الحيدري بالالتفات في ديوانه "اغاني المدينة الميتة" في نصه " ساعي البريد" إذ يقول:

ولم تزل للصين من سورها

اسطورة تمحى

ودهر يعيد

ولم يزل للأرض سيزيفها

وصخرة

تجهل ماذا تريد

ساعي البريد

اخطأت...

لا شك، فما من جديد

وعد مع الدرب ويا طالما

جاء بك الدرب

وماذا تريد...؟ (ديوان بلند الحيدري:٢٧٤،٢٧٣)

إذ يومض النص الشعري باشارات والتفات رمزي ، فالقارئ يجهل مغزى الصخرة وارتباطها باسطورية "سيزيف" التي ترمز إلى العقاب اللانهائي، والجهد غير المثمر، لا يمكن له اكتناه العمق الرمزي في هذا المقطع، فبلند يلجأ في غالب نصوصه إلى الضغط على كلمة والتركيز عليها، إذ يكتفي بالاشارة إلى " سيزيف" كرمز أسطوري، والاكتفاء بذلك من دون عملية العروج على التفاصيل، سوف يحفز المتلقي على عملية استدعاء هذه القصة، وثيمتها الميثولوجية كمرجعية مغذية لنص الشاعر، بغية تحقيق القيمة الفنية والجمالية في عملية التعاطي مع الرمز والالتفات ووظيفتهما، بشكل ينزاح عن دلالته الاصلية، ليحقق دلالة جديدة، عبر تمريره تصورا متقاطعا مع التصور الاصلي ف(الاسطورة... نص حي متفاعل، يولد نفسه في حالة الديمومة، ويعيش الصيرورة من آن إلى اخر، ويجعل الانا تواقة للمعرفة، ويشحنها بالحفر والتوثب نحو افاق مصورة لمستقبل افضل) (التجليات الفنية لعلاقة الانا بالاخر في الشعر العربي المعاصر:د.احمد ياسين سليمان،٤٧)، فالرمز مثل مععادلا موضوعيا لذات الشاعر، التي رفضت الانجرار وراء القطع، وآثرت البحث عن الحقيقة للوصول إليها مع علمه بما يؤول إليه هذا السعي في التصادم مع الاخر، المقدس، فبلند الحيدري يركز على سكونية الإنسان القطيع، وانشداده إلى الجهل، والصخرة التي تتكرر في معاناة "سيزيف" هي ذاتها المتمركزة في طبيعة الواقع الساكن، لذلك جاء الرمز معبرا عن حالة الاستلاب التي يحياها الثوري والمتطلع إلى التغيير في الوقت الذي يسعى الاخر تهميشه لهذا الدور والنيل منه (وبذلك تكون وظيفة الاسطورة ودلالة الالتفات في النقد المعاصر مدلولا استعاريا يعطي الصورة بعدا استشرافيا خلال السياق الخاص، الذي يشكل نوعا من التماثل بين احداث الشخصية الوهمية ومواقف الشاعر التي تهدف إلى التعبير عن تجربته)(الاتجاه النفسي في نقد الشعر العربي:د.عبدالقادر فيدوح،٤٢٣).

أما في نصه "برمثيوس" فنجده يوظف الرمز الاسطوري بتقنية تقترب من تقنية الالتفات، إذ ينزع الى التماهي والاندماج الكامل مع رمزه الاسطوري ، ليتضائل صوت الشاعر تاركا الهيمنة لصوت الشخصية الاسطورية لتتمظهر بمشهدية تفصح عن واقع الاغتراب الوجودي، ولتتمركز حول بؤرة مركزية متمثلة بعبثية الإنسان ومأزقه في الكون ، إذ تتجه مفاصل النص ومادته الاسطورية لتجسيد مأساوية المصير لهذه الشخصية، فالنص يحيل إلى الاسطورة " برميثوس" ويمكن اكتناه هذا الرمز من عنوان النص، إذ يوظفه الشاعر بشكل ينزاح عن دلالته الاصلية، بشكل يحقق دلالة جديدة، ويبدو ان استحضار الشاعر لهذه الاسطورة للتعبير عن رؤاه المعاصرة، فبلند يقوم بتغيير الدور " البرميثوسي" عبر تماهيه مع الرمز الاسطوري ليتحول هذا الرمز إلى نبض داخلي يحقق نموا في النص، وهذا يؤكد ان عملية التوظيف لم تكن بشكل جزئي، إذ يحتشد النص بتفاصيل الحدث الاسطوري الذي ينبئ عن فلسفة البحث، والرغبة الواعية، ففي الوقت الذي ينطق فيه "برميثوس" من يقينية البحث المفضية إلى ما يترتب عليه من التقاطع مع الالة، الذي بلور نفيا وانقطاعا من قبل الآخر المقدس. فالاقصاء والنفي نتاج السعي المؤصل لاكتناه الوجود، ومعرفته من الآخرين، فهو اقصاء مثمر قد حقق وجود "برميثوس" وهذا ما يبرر لجوء الشاعر المعاصر إلى الاسطورة كمحاولة (لادراك بعض مبهمات الوجود، ولايجاد وسيلة لفهم تواجدهم الجدلي في الكون، وما إذا كانت الحياة رحلة جحيم سيزيفية؟ ، أو هي نوع من التضحية البرميثوسية)(قصيدة النثر العربي، التغاير والاختلاف:إيمان الناصر،١٣٢) إذ تتجه مفاصل النص وثيمته الاسطورية للاحاطة بمأساة هذه الشخصية إذ يقول الشاعر:

وكالذرى
تلك التي لا ترى
في صمتها القارس غير الرعود
اعيش في موتي
واقتات من سري الذي كان فكان الوجود
لا هاجس
يبحث بي عن صدى
ولا غد
يحلم لي بالخلود
والليل ان مر ولم ينته
لن يسأل الشك

ترى... هل تعود..؟

تعود أو لا تعود

غليس في مطرحي ساعة

يحصي بها الوقت خداع الوعود

هذي يدي

نفضت منها غدي

وألف وعد راسف في القيود

فليحلم النسر بامواته

ولتحلم الموتى بسر الخلود(ديوان بلند الحيدري:٣١٠-٣١١).

فمادة النص تتمحور حول ما يمثل بؤرة للتفجر والانبثاق، لتفعيل هذه التجربة في مقدمة النص، حدث النفي، في ذاته في الاسطورة البرمثيوسية لما يفصح عنه هذا النفي كحدث، من نزوع يمثل اعمق دلالة لتراجيديا العالم الانساني، التي يمثلها بلند في هذا المقطع الزمني، فالشاعر يورد هذه التفاصيل بصورة معكوسة، إذ نلحظ ان الشاعر يعمل على تحوير الثيمة الاسطورية والدور البرميثيوسي على المستوى الذاتي للشاعر، فالثيمة الاسطورية ببعدها الفلسفي داخل الاسطورة تتقاطع مع تفاصيلها الاسطورية في نص الشاعر، فإذا كانت البؤرة التي تتمحور حولها الاسطورة، تذهب إلى عمق اليقين وتسامي العمل في الملاجعية الاصل، كمرجعية ميثولوجية، إذا نلحظ النص الشعري يحمل دلالة مغايرة ومنحرفة عن البؤرة المركزية للنص الشعري، وتوظيفه لهذا الرمز الذي يشير لعملية الضياع المعرفي، الذي يبتغيه الشاعر، فثنائية التحول/ الارتداد، بين الرمز الاصل والرمز الشعري، والمتولد من طبيعة الدور هي ثنائية ضدية وبهذا يكتسب النص الشعري فاعليته في توظيفه لرؤى جديدة فـ (الاسطورة، .. تتفاعل في مخيلة المرء نصا سيميوطقيا معرفيا، يحمل في طياته علامات، واشارات، ودلالات متعددة في كل زمان ومكان)(التجليات الفنية لعلاقة الانا بالاخر في الشعر العربي المعاصر:٤٧).

لقد تعاطى الشاعر الحديث مع رمزه الاسطوري بوصفه منجما خصبا لطاقاته الايحائية ، التي تنزع دوما إلى التجدد، فالاسطورة كما يقول جارودي(متى ماتحررت من الميثولوجيا، تبدأ من حيث يقف المفهوم، أي لا مع الكائن المعطي، بل مع معرفة الفعل الخلاق، إنها ليس انعكاسا لكائن بل هي تطلع إلى خلق، وهي لذلك لا تعبر عن نفسها ابدا بالمفاهيم والرموز)(الرؤيا الابداعية في شعر البياتي: عبدالعزيز شرف،١٢٨).

النتيجة

من خلال هذه الدراسة تبيّن أنّ الشاعر بلند الحيدري شاعر مبدع، تمكّن من لغته، واستطاع ببراعته، سبر أغوارها وتوظيف قدراتها، للتأثير فى جمهوره المتلقى الذى طالما كان بالنسبة إليه شاعراً وخطيباً مفوّها ينصح تارة وينبه تارة أخرى. لعل الشاعر تحقق من خلال أسلوب الالتفات أهدافه ووجد فى الالتفات أسلوباً يتيح له قدراً من المرونة فى التحول والتنقل من حال إلى حالٍ أخرى، وأعطى الشاعر قدرةً للتعبير من خلالها عن مضامين طغت على شعره. بعد البحث فى أشعار الشاعر الكبير العربى الحديث بلند الحيدري خلّصنا إلى ما يلى:

١- إنّ الشاعر قد تمكّن من إبراز دور أسلوب الالتفات فى خدمة الاتجاهات الشعرية وما تحفل به هذه الاتّجاهات من جدّة وحداثة شكلاً ومضموناً. يعد أسلوب الالتفات ضرباً بارعاً من الصياغة ينطوى على قدر من التمويه الناتج عن كسر سياق التوقع لدى المتلقى، وذلك في التحول من جهة إلى أخرى، وتتخذ معه الحقائق أشكالاً لها معانٍ مختلفة، الأمر الذي دفع الحيدري إلى اعتماده فى شعره، ليمنحه مستوىً عالياً من الإيحاء والإثارة، بعد أن وجد فى السير على وتيرة واحدة عامل إحلال يفتقر إليهما، ويعتمد على استقراء ما وراء النص وإبراز الدوافع النفسية التى دفعت الشاعر إلى الالتفات فى تعبيره.

٢- حقق بلند الحيدري باستخدامه أسلوب الالتفات جملة من الغايات أبرزها (محمد جاسم محمد عباس الحسينى، ٢٠٠٤م، ص ١٤٩):

أ. إثارة حماس المتلقى تجاه قضاياه مجتمعه وقضيته، وما يجسّده هو الالتفات لما يتطلبه من استخدام الخطاب للإثارة تارة والحديث بلغة الغيبة أو التكلم للتذكير أو الإقناع تارة أخرى.

ب. اهتم الشاعر من خلال هذا النوع من الأسلوب طرح الأفكار العديدة ورغب من خلالها فى وضع الحلول المناسبة للمشاكل التى يعانى منها مجتمعه.

ت. هذه الدراسة تمكنت الوقوف على أقرب المعانى التى أراد بلند إيصالها إلى المتلقى.

ث. أمّا أنواع الالتفات فيه فهى السريع والممتد، وكانت نسبة النوع السريع أعلى من النوع الممتد كما تبين من خلال هذا المبحث، وكان هذا تبعاً للافكار التى رغب الشاعر فى إيصالها لجمهوره.

إنّ دوافع الالتفات قد تكون متشابهة أو متكررة بين أقسامه المختلفة إذ إنه قد يؤدى التفات الشاعر من التكلم إلى الخطاب الفائدة التى يؤديها الالتفات الشاعر نفسه أو غيره من التكلم إلى الغيبة وهكذا. فوجدت أن الدوافع لا يمكن أن تنحصر أو تحدّ بضابط معين ولكن تأتى الفائدة على حسب الموضع الذى يرد فيه الالتفات إذ إن الغرض الحاكم على هذا الالتفات هو المعنى

المقصود . وعلى هذا وجدت أنّ قسمين أو أكثر من أقسام الالتفات اشتركت فى الدافع الواحد فعلى سبيل المثال . وكما هو مبين من خلال تحليل النصوص . دافع التنبيه والمبالغة، فعلى الرغم من اشتراك النصوص فى هذا الدافع إلا أننى وجدت أنّ الفائدة لم تتم بهذا الاشتراك وإنما تمت من خلال توظيف الشاعر لهذا الدافع المذكور لكى يؤدى وظيفتها فى خدمة المضمون الشعرى الذى ورد فيه الالتفات. ولا شك فى أن هذا المضمون يختلف من نص إلى آخر ومن شاعر إلى شاعر آخر, فالنصوص الملتفت فيها وإن اشتركت فى الدافع إلاّ أنها اختلفت فى المضمون الذى يؤديه هذا الدافع.

المصادر والمراجع

- الجبوري، كامل سلمان. (٢٠٠٣م). معجم الأدباء. بيروت: دار الكتب العلمية.
- عبود، مارون. ١٩٦٦م. دمقس وارجوان. بيروت: دار الثقافة. – قبش، أحمد. ١٩٧١م. تاريخ الشعر العربي الحديث. دمشق: مؤسسة النوري.
- عمر: محمود عبدالمجيد، الانزياح في شعر نزار قباني،إشراف أ.د. جليل حسن محمد، رسالة ماجستير، جامعة صلاح الدين– العراق، ١٩٩٨م.
- البطي، فوزية بن محمد بن ابراهيم، الخصائص الاسلوبية في شعر محمد عواض الثبيتي، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة القصيم، كلية اللغة العربية والدراسات الاجتماعية، قسم اللغة العربية وادابها، السعودية، ٢٠١٧.
- الددة، عباس رشيد الانزياح في الخطاب النقدي والبلاغي عند العرب، دار الشؤؤون الثقافية العامة، بغداد، العراق، ٢٠٠٩.
- الشتيوي، صالح علي سليم، ظاهرة الانزياح الاسلوبي في شعر خالد بن يزيد الكاتب، مجلة جامعة دمشق، العدد ٣–٤، المجلد ٢١، ٢٠٠٥.
- جميات، منى،(٢٠١٤م) اثر الانزياح في تشكيل قصيدة التفعيلية عند احمد مطر(مقاربة اسلوبية في قصيدة انا ارهابي)، مجلة اشكالات في اللغة والادب، العدد السادس.
- حجازي، احمد عبد المعطي، الانزياح في الشعر العربي المعاصر، رسالة دكتوراه، غير منشورة، جامعة وهران، كلية الاداب واللغات والفنون، قسم اللغة العربية وادابها، تخصص: الادب العربي، ٢٠٠٨.
- شعبان، حبيبة و عتو، فاطمة، اسلوب الانزياح في ديوان "رصاص وزنابق"، رسالة ماجستير، جامعة الجيلالي بونعامة خميس مليانة، كلية الآداب واللغات، قسم اللغة و الادب العربي، النقد الادبي والمعاصر، تخصص: مناهج النقد المعاصر، الجزائر، (٢٠١٥).

- لوصيف، صونيا و كرميش، سارة، الانزياح الدلالي في الالفاظ العربية (معجم العين نموذجاً)، رسالة ماجستير، غير منشورة، جامعة منتوري قسنطينة، كلية الاداب واللغات، قسم اللغة العربية وادابها، قسم اللسانيات، الجزائر، ٢٠١١.

- محسني، علي اكبر ورضا كياني، (٢٠١٣) الانزياح الكتابي في الشعر العربي المعاصر(دراسة ونقد)، مجلة دراسات في اللغة العربية وادابها، فصلية محكمة، العدد ١٢.

- يوسفي، اسماعيل و محمدزاده، جواد،(٢٠١٦م) اسلوبية الانزياح في سورة الحديد المابركة، مجلة اضاءات نقدية، العدد ٢٤.

Sources and References

-Al-Jubouri, Kamel Salman. (2003). Dictionary of Writers. Beirut: Dar al-Kutub al-Ilmiyah.

-Abboud, Maroun. 1966. Damascus and Purple. Beirut: Dar al-Thaqafa.

-Qabash, Ahmad. 1971. History of Modern Arabic Poetry. Damascus: Al-Nouri Foundation.

-Omar, Mahmoud Abdel-Majid. Deviation in the Poetry of Nizar Qabbani, supervised by Professor Jalil Hassan Muhammad, Master's Thesis, Salahaddin University, Iraq, 1998. - Al-Bati, Fawzia bint Muhammad bin Ibrahim, Stylistic Characteristics in the Poetry of Muhammad Awad Al-Thubaiti, Unpublished Master's Thesis, Qassim University, College of Arabic Language and Social Studies, Department of Arabic Language and Literature, Saudi Arabia, 2017.

-Al-Dada, Abbas Rashid, Deviation in Critical and Rhetorical Discourse among the Arabs, General Cultural Affairs House, Baghdad, Iraq, 2009.

-Al-Shattiwi, Saleh Ali Salim, The Phenomenon of Stylistic Deviation in the Poetry of Khalid bin Yazid Al-Katib, Damascus University Journal, Issue 3-4, Volume 21, 2005.

-Jamiyat, Mona, (2014), The Impact of Deviation on the Formation of the Free Verse Poem in the Works of Ahmad Matar (A Stylistic Approach to the Poem "I Am a Terrorist"), Issues in Language and Literature Journal, Issue 6. - Hijazi, Ahmed Abdel-Moati, "Deviation in Contemporary Arabic Poetry," unpublished doctoral dissertation, University of Oran, Faculty of Arts, Languages and Humanities, Department of Arabic Language and Literature, specialization: Arabic Literature, 2008.

-Shaaban, Habiba and Atou, Fatima, "The Style of Deviation in the Diwan 'Bullets and Lilies,'" master's thesis, University of Djillali Bounaama, Khemis Miliana, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, Literary and Contemporary Criticism, specialization: Contemporary Critical Methods, Algeria, (2015.(

-Loussif, Sonia and Kermiche, Sarah, Semantic Deviation in Arabic Words (Al-Ain Dictionary as a Model), Unpublished Master's Thesis, Mentouri University of Constantine, Faculty of Arts and Languages, Department of Arabic Language and Literature, Department of Linguistics, Algeria, 2011.

-Mohseni, Ali Akbar and Reza Kiani, (2013) Textual Deviation in Contemporary Arabic Poetry (A Study and Critique), Journal of Studies in Arabic Language and Literature, a peer-reviewed quarterly, Issue 12.

-Youssefi, Ismail and Mohammadzadeh, Javad, (2016) The Stylistics of Deviation in the Blessed Surah Al-Hadid, Journal of Critical Insights, Issue 24.